



## نوادير الأطفال في التراث العربي.. متعة ودروس

أبو محمد يحيى - وكان مؤدب المأمون في صغره: صليت يوماً قاعداً فأخطأ المأمون فقامت لأضربه فقال: أيها الشيخ أطلع الله قاعداً وتعصيه قائماً؟ فكتبت بهذا إلى الرشيد فأمر لي بخمسة آلاف درهم.

وليس كل نوادر الأطفال التي سجلها التراث العربي في جانب النباهة والذكاء وحسن الجواب وسرعة البديهة بل وجدناه يسجل أيضاً بعض ما يرد من غباواتهم ومن نوادر بلاغة الأطفال نورد هذين النموذجين: أرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبرئ طوله عشرة ذراعا فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال: في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتني فيك يا بني.

وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوماً يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بغلام يا عبدالله فلم يجبه ذلك الغلام فقال: ألا تسمع؟ فقال: يا عم كلنا عبيد الله فأبي عبد تعني؟ فالتفت أبو حمزة إليه وقال: يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغته؟ فلما كان من الغد إذا برجل ينادي: يا حمزة. فقال: حمزة بن الأعرابي: كلنا حمامين الله فأبي حمزة تعني؟ فقال له أبوه: ليس يعنك يا من أخدم الله به ذكر أبيه.

وان الاستكثار من إيراد وذكر هذه المواقف المسجلة للأطفال لا يزيدنا إلا قناعة برسوخ أدبيات الأطفال في تراثنا العربي.

اسم الحافي. وما هو ذا طفل يجبر أمير المؤمنين ببديهته وحسن اجابته على ضمه لأولاده ليتعلم معهم فقد روي أن الخليفة المعتصم قال للفتح بن خاقان وهو صبي: أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ لفص في يده. قال: نعم يا أمير المؤمنين البدي التي فيها أحسن منه. فضمه إلى أولاده.

وهذا طفل صغير يفحم عالماً كبيراً بلذعة جوابه فقد دخل الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كبير من أهل العلم فأحب أن يتكلم فزجره وقال: أصبي يتكلم في هذا المقام؟ فقال: ان كنت صغيراً فليست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان حين قال «أحطت بما لم تحط به» ثم قال: أترى أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبير لكان داود أولى.

وهذا طفل يجذب قلب أبيه إليه بحسن جوابه فقد روي أن الرشيد كان يقول للمأمون: يا عبدالله أحب المحاسن كلها لك حتى لو أمكنني أن أجعل وجه أبي عيسى لك لفعلت. وقال يوماً لأبي عيسى وهو صبي: ليت جمالك لعبدالله - يعني المأمون. فقال: على أن حظه منك لي. فعجب من قوة جوابه على صباه وضمه إليه وقبله. وأبو عيسى هذا هو المؤمن الأخ الثالث للأمين والمأمون.

وهذا طفل يعلم أستاذه قال

أو البديهة الحاضرة لما ورد على السنة الأطفال وما أبدعوه وقالوه.

وما نحن أولاء - في وقتنا الحاضر - على الرغم من توافر كل أدوات التسجيل والكتابة والنشر والإعلان لانداني السلف في التفاتنا إلى ما التفتوا إليه. واني في إيراد بعض ما ذكرت سأكتفي بشواهد ونماذج متتابعة دون تعليق لأنها تعلق بنفسها وتجعلك تشعر بالسرور والحبور والتعجب والدهشة والاكبار والتقدير لمن صدر عنه مثل هذا واليكها:

دخل صبي من بني أسد وهو ابن سبع سنين على الرشيد فعجب منه ومن فصاحته.

فقال له الرشيد: ما تحب أن أهب لك؟

قال: جميل رأيك يا أمير المؤمنين فاني أقوز به في الدنيا والآخرة.

فأمر الرشيد بدراهم ودنانير. فصبت بين يديه وقيل: اختر أحبهما اليك.

فقال: أمير المؤمنين أحب خلق الله الي وهذه من هاتين وضرب يده إلى الدنانير.

فضحك منه الرشيد ووصله. وقيل: وأمر أن يضم إلى ولده. وفي نادرة أخرى: قال بشر بن الحارث: أتيت باب المعافي بن عمران فدققت الباب فقيل لي: من؟ قلت: بشر الحافي. قالت لي: بنية صغيرة من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك

لمصطفى محمد عبدالخالق وهو كتاب مخطوط بالظاهرة تحت رقم ٨٤٤٤.

وهناك عدد من الكتب المخطوطة التي لا يتسع المجال لذكرها تختص بالجوانب التعليمية والتربوية للأطفال.

ولعلنا ونحن نتحدث عن نوادر الأطفال ونورد بعضها انما نؤكد ما قلناه وما نراه فاصرار مدوني التراث على تسجيل نوادر الأطفال من بين ما سجلوه من نوادر للعلماء والقادة والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء.. وغيرهم من فئات المجتمع لدليل على هذا الاهتمام الكبير بهذه الفئة وأنها لم تكن مهملات أو معزولة كما يرى البعض بل هي فئة لها مكانتها غيرها من الفئات.

ولعل المدونين لهذه النوادر بشكل عام ونوادير الأطفال بشكل خاص انما يهدفون إلى التنشيط والتجديد والترويح وإزاحة السأم والملل وبعث العزائم والهمم والإيابة في الوقت نفسه عن مشاركة الأطفال غيرهم في نسج خيوط أربيات الأمة.

قد يكون خيطاً ضعيفاً أو وهياً أمام الخيوط الأخرى ان أخذنا بدعوى الإزاحة التي فرضها أدب الكبار على الصغار ولكنه خيط موجود وأثره مشهود وهذا يدل على عدم اهمال تراثنا في تسجيله حتى للنادرة المضحكة أو الطرفة المسلية أو الإجابة المسكتة أو الرد البارع

تحت رقم ٦٩٩٩ أدب فيه فضائل الأولاد.

وهناك مؤلفات توجت لنصح الصغار» لجار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري وهو مخطوط بالظاهرة تحت رقم ٦٧٤٠ أدب. وبعضها توجه إلى المربين وما يحتاجون إليه في تأديب الأطفال من حسن المعاملة والحزم والعلوم التي يؤخذ بها الأطفال وأوقات الدرس وتخيرها وحالات الأطفال النفسية والصحية إلى غير ذلك من التوجيهات التربوية كما يلقانا ذلك في رسالة الغزالي التربوية «أبها الولد». وكذلك كتاب «تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال» لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي. وهو كتاب مخطوط بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ٦٩٠٩ وقد صدر محققاً. كما وجدنا بعض الكتب التي تتحدث عن فقد الأولاد جمع فيها مؤلفوها ما ورد عن موت الأولاد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأخبار والآثار والحكايات والأشعار ودعوة الآباء للتسلي عن فقدهم والصبر على مصابهم طلباً للأجر والثواب. ومن ذلك كتاب «برد الأكباد عند فقد الأولاد» للحافظ المحدث أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي. وكتاب «سلوة الحزين على فقد الأحبة والبنين»

أدب الأطفال في التراث العربي له مكانته الواضحة من خلال تسجيل القدماء لهذا الأدب الذي يعني بهذه الفئة العمرية ولسنا مع الذين ينكرون عدم احتفال الأدب العربي القديم بهذا النوع الأدبي وهناك ممن كتب للأطفال شعراً ونثراً وتوجيهياً وتعليمياً وتربوية وترفيهاً بل سجل عن الأطفال ما قالوه من شعر وما بدر عنهم من أقوال.

ولست في هذه المقالة بمستفيض في ذكر ذلك ولكني أذكر كتاب «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر الصقلي الذي يورد فيه كثيراً من أخبار الأطفال إلى جانب ذلك فقد وجدنا بعض المؤلفات التي تمثل كتب الثقافة أو النوادر المجموعة والمنتخبات تفرد بعض صفحاتها أو فصول منها لذكر فضائل الأطفال ونوادرهم وأخبارهم وأجوبتهم المسكتة وحكاياتهم الممتعة وما امتازوا به من شجاعة ونباهة. فكتاب «المختار من نوادر الأخبار» مجهول المؤلف والمنسوب خطأ لمحمد بن أحمد المقرئ فيه فصل عن نجابة الأولاد وهو مأخوذ بأكمله من كتاب «أنباء نجباء الأبناء». وكتاب «التحفة الظرفية من كل نكتة لطيفة» لحسن بن عثمان الحكيم وهو مخطوط بالظاهرة تحت رقم ٥٧٨٢ أدب يخص الباب الثاني عشر منه لنوادير الصبيان. وكتاب «في التاريخ والحكايات» مجهول المؤلف بالظاهرة أيضاً مخطوط